أَلتُراثُ... وَرُؤْيَةٌ مُعَاصِرَةٌ لِلسَّبْعِ المَثَاني وَالقُرْآنِ العَظِيمِ

أ. علي أبو الخير
باحث اسلامي في وزارة التربية والتعليم
جمهورية مصر العربية

دراسة يرصد فيها السيد الباحث بعض التفاسير العصرية للمثاني السبع، والعلاقة بين ما ورد عنها في التفاسير المأثورة في كتب التراث وبما جاء في تفاسير حديثة حاولت أن تثبت اموراً تحتاج الى تأمل في علاقة (المثاني السبع) بفواتح السور (الحروف المقطّعة) والتي شرّق في تفسيرها العلماء واللغويون وغرّبوا من دون أن يصلوا الى حل هذا الرمز الالهي المقدس.

وتأتي الدراسة في ثلاثة محاور وخاتمة أراد السيد الباحث لها أن تكون مفتاحاً لبحث جديد في أسرار هذه الفواتح. ولم يتبنّ أيَّ رأي خاص بالامر بل ترك الباب مفتوحاً لمن يريد أن يخوض غماره من الدارسين في إعجاز القرآن الكريم.

فحوى البحث

تقديم

دائما ما نكرر أن القرآن العظيم كتاب هدى ورحمة ودين إلهي، وليس كتاب علوم أو فلسفات، وليس أيضا كتاب كونيات، هو كما نص في أكثر من آية، أنه هدى للمتقين وللمؤمنين، والقرآن كتاب حوار، حيث دخل في حوار مع المؤمنين والمشركين والمنافقين، وذلك من أجل الوصول للحقيقة، لعبادة الله، ولحفظ كرامة الإنسان، ومنحه دائما حرية الاختيار حتى بين الإيمان والكفر.

ووسط كل ذلك، توجد إشارات علمية في سياق الآيات القرآنية، قد تكون مبهمة أثناء نزول القرآن الكريم، ولكن النبي لم يفسرها لهم، لأنها لا تتفق مع علوم عصرهم، وربما فعل الإمام علي عليه السلام ذلك، عندما شرح بعض الآيات القرآنية، بما يوحي ببعض الإشارات العلمية، مثل خطبته التي ذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وغيرها من الإسهامات الفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام.

وفي السياق نفسه نجد أن للقرآن الكريم إعجازاً لا يمكن تجاوزه، ولابد من التفكير فيها، مثل الرياح اللواقح وكيفية خلق وتشكيل الأجنة في بطون الأمهات، وغيرها من الآيات التي تشير إشارات عابرة، تصلح ليستنبط منها العلماء ما يؤكد إيمان المؤمن، وما يثبت إلهية المصدر القرآني، وهو بالتالي صالح لكل العصور، وصالح لأن يفهمه كل البشر على اختلاف أعراقهم وديانتهم.

ومن ضمن الإشارات الغيبية التي تركها القرآن للزمن المستقبلي، بحيث تفيد في زيادة الإيمان، وفي قدرته الخالدة في تحدي المخالفين، وفي قدرته على نشر التسامح بين الناس.

لقد وردت في القرآن كلمات كثيرة، قيل إنها ليست من لغة العرب، مثل إستبرق وهيت لك والزنجبيل والفردوس[1]، وغيرها ثم تعربت، وصارت من المفردات العربية.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية -مركز الشارقة للإبداع الفكري -الشارقة -١٩٩٨- ج٢٦/ ص ٨٢٢٢-٨٢٢٤.

ولهذا تأمل كثيرون في معنى الآية القرآنية الكريمة ٨٧ من سورة الحجر ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾، واختلفت التفاسير حول تلك الآية، هل السبع المثاني هي القرآن، أو بعض منه، أم جزء مختلف عنه، ثم مندغم فيه، وهل يوجد ما يدل على أن الرسولﷺ أوتي القرآن ومثله معه، بحيث يكون معها كتابان، هما القرآن والسبع المثاني..

في هذه الدراسة نرصد بعض التفسيرات العصرية الجديدة، للمثاني السبع، وكذلك العلاقة بين ما التفاسير المأثورة في كتب التراث، وبما جاء في التفاسير الحديثة..

تأتي الدراسة في ثلاثة محاور وخاتمة.

المحور الأول

السبع المثاني في كتب التراث

ورد في كتب التفاسير عدة معاني مختلفة للسبع المثاني، نستعرضها بإيجاز، فقيل إنها السبع سور الطوال في القرآن، وقيل إنها سور الحواميم السبع، أي التي تبدأ بكلمة «حم»، وقيل: إنها سبع صحف من الصحف النازلة على الأنبياء.

وقد كثر الاختلاف في قوله «من المثاني»، أولا من جهة كون «من»، هل هي للتبعيض أو للتبيين، وكذلك اختلف في كيفية اشتقاق لفظة المثاني و لماذا سميت بالمثاني.

والذي يتبادر للذهن هو أن كلمة «من» للتبعيض، فإنه سبحانه سمى جميع آيات كتابه مثاني إذ قال ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[سورة الزمر: ٢٣]، وآيات سورة الحمد من جملتها فهي بعض المثاني لا كلها.

ويبدو أن المثاني جمع مثنية اسم مفعول من الثني بمعنى اللوي والعطف والإعادة، قال تعالى ﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ [سورة هود: ٥]، وسميت الآيات القرآنية مثاني، لأن بعضها يوضح حال البعض، ويلوي وينعطف عليه كما يشعر به في قوله ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾، حيث جمع بين كون الكتاب متشابها يشبه بعض آياته بعضا، وبين كون آياته مثاني.

وفي كلام النبيﷺ في صفة القرآن:

"يصدق بعضه بعضا"[٢]، وعن الإمام علي عليه السلام "ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض"[٣] أو هي جمع مثنى بمعنى التكرير والإعادة كناية عن بيان بعض الآيات ببعض.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام "إن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الله عز وجل قال لي يا محمد ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله عز وجل خص محمدا صلى الله عليه وآله وشرفه بها، ولم يشرك معه فيها أحدا من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، يحكي عن بلقيس حين قالت ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل: ٢٩ - ٣٠] ألا فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله الطيبين منقادا لأمرها مؤمنا بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها"[٤].

وقالوا أيضا إن المثاني مأخوذة من الثناء، أي المدح والحمد، فآيات سورة الفاتحة سبع آيات كلها آيات ثناء على الله سبحانه وتعالى، ولذا سميت السبع المثاني، والرسول صلى الله عليه وآله في هذه الحالة هو: الثاني المُثني، أي المادح والحامد، ولو سُميت الحمد يصبح الرسول صلى الله عليه وآله هو الحامد أو محمد وأحمد، والقرآن كله في الفاتحة، ولهذا أفرد الله منته على الرسول صلى الله عليه وآله بالفاتحة المباركة.

ولما كان القرآن تفصيلاً للفاتحة أصبح القرآن كله ثناءً على الله سبحانه وتعالى عند أهله، فصح أن يسمى القرآن كله مثاني، كما ذُكر آنفا.

(٢) الشيخ جعفر السبحاني -الإيمان والكفر في القرآن والسنة -مركز الأبحاث العقائدية-قم، ١٤١٥هـ -ص ٢١٢.

(٣) الإمام علي عليه السلام -نهج البلاغة -نسخة كمبوترية -الخطبة ١٢٩.

(٤) الشيخ جعفر السبحاني -مصدر سابق-ص٢١٣.

أمّا السبب في التسمية، فقد اختُلف فيه، فقيل: لأنّها تُثنّى في كلّ صلاة، وقيل: لأنّ فيها الثناء مرّتين، وهو «الرحمن الرحيم»، أو لأنّها مقسومة بين الله وعبده قسمين اثنين، وقيل إنّ المثاني جمع المَثنية، من الثني بمعنى اللَّي والعطف والإعادة.

وورد أيضا أن المثاني الناطق هم: الأئمةعليهم السلام، وهم سبع آيات ثناء على الرسولصلى الله عليه وآله في هذه الأرض، وفي جميع العوالم، تفتخر الملائكة بخدمتهم وأتباعهم، وضرب أعداء الله بين أيديهم، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة ولد الحسين والقائم المهديعليهم السلام والأئمة من ولد القائم المهديعليهم السلام، وقد ورد عنهمعليهم السلام: أنهم هم المثاني، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[٥].

وقد تكون المثاني السبع، هو كل سبق من التفاسير، قد تكون سورة الفاتحة، أو الحواميم أو السور الطوال، وأيضا هم الأربعة عشر المعصومون، فهم تطاقون بالقرآن، وشروحه المستنبطة سواء كانت من الجامعة الإمامية[٦]، أو خلال الفهم المتوارث إماما عن إمام.

المحور الثاني:
الحروف القرآنية

لو عدنا للآية القرآنية لوجدناها تنص على عطف ومعطوف عليه، فقد ذكرت السبع المثاني معطوف عليه، والقرآن معطوف، وهنا نأتي ببعض التأملات[٧]:

١. لقد عطف القرآن على السبع المثاني، وهذا يعني أن القرآن شيء والسبع المثاني شيء آخر، وأن السبع المثاني ليست جزءاً من القرآن، وقد وضعها الله سبحانه وتعالى قبل القرآن، حيث ميّزها عليه بالأفضلية من ناحية المعلومات.

(٥) الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق -عيون أخبار الرضا- مؤسسة الأعلمي -بيروت -١٩٨٤ -ج١ ص٢٧٠.

(٦) نقصد بالجامعة، هي التي توارثها الأئمةعليهم السلام.

(٧) د. محمد شحرور -القرآن والسبع المثاني- من موقع الدكتور شحرور -http://www. shahrour. org.

٢. لا يمكن أن يكون القرآن جزءاً من السبع المثاني، لأن السبع المثاني سبع آيات، والقرآن أكثر من ذلك.

٣. وجب أن يكون هناك تجانس ما بينهما حتى يتم عطف أحدهما على الآخر، فإذا تم عطف القرآن على أم الكتاب، فوجه التجانس بينهما أنهما موحيان من الله ... وهكذا نرى عندما عطف ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا ﴾ [سورة التحريم: ٥] أن الثيب غير البكر ولكن كلاهما من النساء[٨].

وبما أن القرآن العظيم هو نبوة محمدﷺ والنبوة علوم، فهذا يعني أن السبع المثاني هي من النبوة وفيها علوم.

وهكذا نفهم قول النبيﷺ "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[٩] ما هو إلا تعليق على هذه الآية، فإذا كانت السبع المثاني هي مثل القرآن، فهذا يعني أن المعلومات الواردة فيها لا تقل كمّاً ونوعاً عن المعلومات الواردة في القرآن، ولكن جاءت بطريقة تعبيرية مختلفة عن طريقة القرآن، وهذا لا يجوز، فالسب المثاني، من جنس القرآن من حيث معجزته، فلا هي بديل عنه، ولا يمكن فك ارتباطها به.

٤. لقد ميز السبع المثاني عن القرآن بأن أطلق عليها مصطلح (أحسن الحديث) وذلك في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]. فقد أطلق على القرآن مصطلح الحديث، وأطلق على السبع المثاني مصطلح أحسن الحديث، حيث أنه تم تمييزها، وهذا التمييز بأن القرآن آيات متشابهات فقط، وأحسن الحديث يحمل بالإضافة إلى التشابه صفة المثاني «كتاباً متشابهاً مثاني»، أما القرآن فكتاب متشابه فقط.

(٨) د. شحرور -مصدر سابق.

(٩) الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي -تفسير ابن كثير- الدار القيمة -القاهرة -١٩٩٣ -ج١ ص١٢.

المثاني في اللغة العربية:

فما هي المثاني؟. لقد جاء في مقاييس اللغة ما يلي: "الثاء والنون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين"[١٠].

وجاء فيه: "المثناةُ": طرف الزمام في الخشاش"[١١]. وإنما يثنى الشيء من أطرافه فالمثاني هي الأطراف[١٢]..

ومن هنا كان لكل سورة مثناة أي طرف فالمثاني إذاً أطراف السور وهي إذاً فواتحها.

يبدو هنا أنه من خلال الأولى أن نسمي الفاتحة بالسبع المثاني، لأن الفاتحة هي سبع آيات في فاتحة واحدة هي فاتحة الكتاب.

ولكن السبع المثاني هي سبع آيات، كل منها فاتحة، أي هي سبع آيات وهي في الوقت نفسه سبع فواتح.

يبقى احتمال واحد، وهو أنه بما أن الكتاب واحد، وبما أنه مؤلف من ١١٤ سورة، فيلزم أن تكون السبع المثاني هي سبع فواتح للسور، كل منها آية منفصلة في ذاتها، فإذا نظرنا إلى فواتح السور نرى فيها السبع المثاني وهي:

١. الم.
٢. المص.
٣. كهيعص.
٤. يس.
٥. طه.
٦. طسم.
٧. حم.

فما هي: الر، المر، طس، ن، ق، ص؟.

يمكن القول إن كلاً من هذه الحروف جزء من آية، وليس آية منفصلة تامة في ذاتها.

فالآية الأولى في سورة نون هي ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

أما الآية الأولى في سورة البقرة فهي ﴿الٓمٓ﴾، وأما ﴿عٓسٓقٓ﴾ فهي

(١٠) معاجم اللغة العربية: لسان العرب ومختار الصحاح وغيرهما -وهي موجودة في شبكة المعلومات الدولية -الإنترنت -بتصرف في النقل -يراجع القارئ ومن يشاء من المعلقين.
(١١) المصادر السابقة.
(١٢) المصادر السابقة.

ليست فاتحة لسورة، لأنها الآية الثانية في سورة الشورى، والآية الأولى هي ﴿حمٓ﴾، فإذا نظرنا إلى عدد الحروف "الأصوات" الموجودة في الآيات السبع المذكورة أعلاه نراها تتألف من أحد عشر حرفاً (صوتاً) هي:

١. الألف.
٢. اللام.
٣. الميم.
٤. الصاد.
٥. الكاف.
٦. الهاء.
٧. الياء.
٨. العين.
٩. السين.
١٠. الطاء.
١١. الحاء.

وإذا أخذنا بقية الحروف "الأصوات" الموجودة في الر، المر، طس، عسق، ن، ق، ص، والتي لا تشكل آيات منفصلة في ذاتها كبداية، وفيها آية واحدة ليست كبداية هي عسق، فنرى أن فيها ثلاثة حروف (أصوات) غير موجودة في آيات السبع الفواتح وهي:

١. القاف.
٢. الراء.
٣. النون[١٣].

فمن هذه الأصول تتألف كلمة "القرآن"، لأن كلمة القرآن مشتقة من "قرأ"، ومعنى «ق ر أ» الجمع كما في المقاييس، وكذا معنى «ق ر ن»، وعليه فالقراءة والقرن جمع وفيها استقراء ومقارنة، وإذا أضفنا الحروف (الأصوات) الثلاثة الإضافية إلى السبعة الفواتح التي تشتمل على أحد عشر حرفاً، يصبح المجموع أربعة عشر حرفاً (صوتاً) مختلفاً أي ٧ × ٢ + ١٤، وهذه هي أيضاً سبع مثان.

لقد قيل الكثير عن الحروف في

(١٣) سعد عبد المطلب العدل -السبع المثاني- مكتبة مدبولي -القاهرة- ٢٠٠٥ -بتصرف، حيث تم استعراض رأي الباحث في تلك الرؤية، ولم نحدد أرقام الصفحات نظرا لأن الاستعراض من كامل الكتاب، هو وكتاب الهيروغليفية تفسر القرآن، يلاحظ ذلك.

أوائل السور القرآنية، قال الزمخشرى وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف، فجميع هذه الحروف في جملة (نص حكيم قاطع له سر)، فسبحان الذي دقت كل شئ حكمته، قال: "لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى، ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيراً.. ولم يجمع العلماء فيها على شئ معين وإنما اختلفوا"(١٤).

وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن بحروفه المقطعة، قال الزمخشرى ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن، وإنما كررت ليكون ابلغ في التحدي والتبكيت.. وكرر التحدي بالصريح قال: وجاء منها على حرف واحد كقوله (ص، ن، حرفين (حم) وثلاثة (الم) وأربعة مثل (المر) و (المص) وخمسة مثل (كهيعص، حمعسق)، لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة أحرف وعلى أربعة أحرف وعلى خمسة أحرف لا أكثر من ذلك، ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف، فلا أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسعة وعشرين سورة(١٥).

وقال بعضهم عن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ التي جاءت في سورة مريم: «هو أسم تخشاه السماء والأرض» وقال آخرون: قبيل موت رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت، قال: «يا كهيعص أغفر لي»؟. وحروف «كهيعص» على وجه التحديد يتبارك بها الناس ويكتبونها على واجهات منازلهم ومحلاتهم التجارية للبركة دون فهم لمعانيها(١٦).

(١٤) ملاحظة: ابن كثير كان يعلم مدلول الحروف الرقمية أ= ١، ل= ٣٠، م= ٤٠، وهى مفتاح سر فك طلاسم الحروف المقطعة كما يتضح من قراءة تفسيره.

(١٥) الحافظ ابن كثير -تفسير ابن كثير -مصدر سابق -ج١/ ص ٣٥-٣٨.

(١٦) المصدر السابق.

ولنا أن ننظر لهذا الكم من التناقض والتباعد، ومن ثم لم يحدث اتفاق على فهم سر معاني الحروف القرآنية، التي جاءت في أوائل السور، ولذا نحاول الوصول لمعاني جديدة بمعلومات قديمة متجددة.

المحور الثالث

عربية القرآن وعجمية السبع المثاني

لو تأملنا الآيات القرآنية الشريفة لوجدنا أن القرآن العظيم اشترط عربيتهن فهو كتاب عربي ولسان عربي، وذلك بمقتضى أحد عشر موضعاً في القرآن تؤكد تلك العروبة القرآنية.

فهو بلسان عربي مبين، وأنه قرآن عربي غير ذي عوج، ولذلك جاءت آياته واضحة ظاهرة، وعندما وردت كلمات غير عربية، فقد تمت صياغتها بحيث أُضيف للغة القرآنية ففهما المسلمون، ومن ثم انتقلت للغة العربية في كل الكتابات..

ولكن الأمر اختلف مع السبع المثاني، حيث لم تُشترط عربيتها، ولكنها جاءت عامة ليمكن تفسيرها في أوقات لاحقة كثيرا عن عصر النزول.

ولقد جاءت من لغة أخرى وهي اللغة المصرية، هذا ما رآه باحث مصري هو الأستاذ سعد عبد المطلب العدل في كتابيه «الهيروغليفية تفسر القرآن»، والثاني هو «السبع المثاني»، حيث ذهب لرأي جديد، وهو أن السبع المثاني، ليست مجرد حروف (أصوات)، ولكنها كلمات مصرية قديمة، تُعرف باللغة الهيروغليفية، ويرى أن الحروف القرآنية، ما هي إلا كلمات هيروغليفية، وأن اللغة المصرية تنطق الضاد والحاء، فمثلا، حرف الطاء في اللغة العربية يُنطق بالهمزة، أما في اللغة المصرية القديمة يُنطق طا فقط بدون الهمزة، وكذلك حرف الياء، في العربية بهمزه، وهو كلمة باللغة المصرية بدون همزة، أما حرف العين في كهيعص، يُنطق عيييين، بأربعة ياءات، والأمر ليس كذلك في اللغة المصرية، وهكذا كما سنرى في تلك الدراسة.

ولكن وقبل الحديث عن تفسير سعد العدل عن السبع المثاني نكتب

قليلا عن اللغة الهيروغليفية.

الهيروغليفية:

الخط الهيروغليفي: "هو أول الخطوط التي كتب بها المصري القديم لغته، وقد اشتقت كلمة (هيروغليفي) من الكلمتين اليونانيتين (هيروس) (Hieros) و(جلوفوس) (Glophos) وتعنيان الكتابة المقدسة حيث أنها كانت تستخدم للكتابة على جدران الأماكن المقدسة لديهم مثل المعابد والمقابر"[١٧]..

كما أنها كانت كتابة منقوشة تتم على الأحجار بأسلوبي النقش البارز أو الغائر على الجدران الثابتة وعلى الآثار المنقولة، مثل التماثيل واللوحات والصلايات.

وتتكون الكتابة الهيروغليفية من مجموعة من النقوش المستمدة من الحياة اليومية، فهي كتابة تصويرية، بالإضافة لوجود حروف أبجدية، وإن كانت أكثر تعقيدا من الأبجدية المعروفة الآن في اللغات المنتشرة، فالأبجدية في الهيروغليفية تنقسم على ثلاث مجموعات[١٨].

المجموعة الأولى: هي الحروف الأحادية، أي الحروف أحادية الصوت مثل الحروف المعتادة اليوم.

المجموعة الثانية: الحروف الثنائية الصوت، وهي عبارة عن رمز أو نقش واحد ولكن ينطق بحرفين معا.

المجموعة الثالثة: وهي الحروف ثلاثية الصوت، وهي عبارة عن نقش أو رمز واحد، ولكن يعني ثلاثة، وذلك بالإضافة لمجموعة من العلامات الأخرى، والتي لا تنطق نهائيا، وإنما هي من أجل أغراض نحوية مثل تحديد المثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وبعض الرموز المؤكدة للمعنى والتي تعرف بالمخصصات[١٩].

ظلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتى القرن الرابع الميلادي، ثم تم فك رموزها في العصور الحديثة بمساعدة

(١٧) تم الاعتماد على موقع إلكتروني- http:// ar. wikipedia. org/ wiki -بتصرف.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) المصدر السابق.

الكشف الأثري لحجر رشيد على يد ضابط فرنسي، وحل رموزه فيما بعد على يد الفرنسي شامبليون[٢٠].

هذه خلاصة ما جاء في أغلب المصادر التي تحدثت عن الهيروغليفية.

إلا أن هناك باحثان عربيان هما الباحث المصري د. عكاشة الدالي، من المعهد الأركيولوجي في جامعة لندن،[٢١] والباحث السوري يحيى مير علم، قد توصلا إلى أن أبا بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار المعروف بابن وحشية النبطي الكلداني (توفي سنة ٢٩٦)[٢٢] كان أول من فك رموز اللغة المصرية القديمة وميز أنواعها في كتابه "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام"، المخطوطة تم نسخها عام ٢٤١ هجرية (٨٦١ م)، وكان أول من كشف عنها المستشرق النمساوي جوزيف همر وقام بطبعها في لندن عام ١٨٠٦.

مما دفع يحيى مير علم إلى التأكيد أن شامبليون لا بد وان يكون قد اطلع على هذه المخطوطة قبل قيامه بفك رموز حجر رشيد، الذي عثر عليه بالقرب من مدينة رشيد شمالي مصر، على بعد ٦٥ كيلومترا شرق الإسكندرية، وتعود أهميته إلى وجود نصوص بالهيروغليفية وما يقابلها من مضمون باللغة اليونانية القديمة منقوشة عليه، وقام شامبليون بترجمة النقوش في عام ١٨٢٢.

وقد كان ابن وحشية مطلا على العديد من اللغات القديمة المعروفة في زمنه، ومن بينها الكردية والنبطية والفارسية والهندية وبلغ عدد الأقلام (اللغات) التي عرفها ٨٩ لغة، من بينها الهيروغليفية التي تضمنتها المخطوطة المعنية بالدراسة.

ويشير مير علم إلى أن ابن وحشية وضع في مخطوطته اللغات القديمة وحروفها وما يقابلها من حروف باللغة العربية، ومن بين هذه اللغات إلى جانب

(٢٠) أسماء بنت محمد الحميضي -الحروف المقطعة -هل تفسرها الهيروغليفية؟.- قراءة نقدية لكتاب "الهيروغليفية تفسر القرآن" -بحث مقدم في كلية التربية-قسم الثقافة الإسلامية -الرياض- ٢٠٠٢-ص٧.

(٢١) المصدر السابق -ص ٧.

(٢٢) المصدر السابق -ص ٨.

الهيروغليفية اللغات المصرية القديمة، مثل الديموطيقية والهيروطيقية والقبطية القديمة إلى جانب الآشورية والكلدانية والنبطية[٢٣].

تلك هي اللغة الهيروغليفية، ولها شأن في دراسة علم المصريات، وقد وجدت بعض كلمات هي هيروغليفية في مصطلحات اللغة العربية، كما يرى سعد العدل، فكلمة "يثرب"، تُنطق (يث) بمعني مهاجر -و (رب) وتعني نبي، وتكون الكلمة، مهاجر نبي، أو المدينة التي هاجر لها رسول الله، في تنبؤات تاريخية، ربما كانت مقدسة في وقت من الأوقات، وكذلك كلمة عرفات، وتعني في الهيروغليفية، سُلم السماء، وغيرها من كلمات كثيرة يراها الباحث.

ومن خلال ذلك يمكن التطرق لمعاني الحروف (الأصوات) القرآنية في أوائل السور.

(٢٣) سعد عبد المطلب العدل -الهيروغليفية تفسر القرآن -مكتبة مدبولي -القاهرة- ٢٠٠٢-بدون رقم صفحة -حيث تم الاعتماد على صفحات الكتاب في العرض والتقديم.

الرؤية المعاصرة للسبع المثاني:

استعرض الباحث سعد عبد المطلب العدل الآراء حول السبع المثاني التي تحدث عنها القرآن الكريم، ثم يخلص إلى أن السبع المثاني هي فواتح السور، فهي كما ذكر كثيرون من المفسرين (١٤ أي ٢x٧)، ولكنها بلغة مصرية قديمة.

ويبدأ قراءته لمعاني فواتح السور بالهيروغليفية فيقول: "... وهذا يتفق مع الآيات التالية وأسباب نزولها حيث السبع قوافل اليهودية، وقد أثبت نفس الباحث في كتابه "إخناتون أبو الأنبياء" أن يهود الجزيرة العربية كانوا، ما يزالون يتكلمون اللغة المصرية القديمة"[٢٤].

بعد أن يتحدث عن تلك الحروف المقطعة في القرآن، ومقارنة ما جاء باللغة الهيروغليفية، فسّر تلك الحروف كما يلي:

١. كهيعص: في أول سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ حيث تستهل السورة

(٢٤) المصدر السابق.

بالرمز كهيعص، يقول: «.. ولا نجد لها في كتب التفسير أي تفسير أو شرح منطقي علمي سوى جملة: الله أعلم بمراده، أو ما ورد في كتب التفسير القديمة، ولكن هذا الرمز (كهيعص) جملة تامة من اللغة المصرية وهي كالتالي»:[٢٥]

- كاف: وتعني يكشف النقاب عن سر، يفض سرا، يجلي سراً، يظهر حقيقة يقينية.
- هـ: تُنطق ها بدون همزة.. وتعني: يتنزل من السماء.
- ي: تُنطق بدون الهمزة، وتعني لهذا، إليك، ثم تتلو جملة خطاب مباشر.
- عين: وتُطق عيييين باربع حركات، وتعني حقيقي، صادق، حسن.
- صاد: وتعني: يقول، يحكي، حكاية، قصة، ذكر.

والترجمة الكاملة لهذه الجملة من اللغة المصرية إلى اللغة العربية: سنكشف لك النقاب عن سر منزل إليك من السماء، فانتبه إليك القصة الحقيقية، ثم يسرد القصة في ذكر عبده زكريا.

فيكون معنى وتفسير هذه الجملة في سياق افتتاحية سورة مريم، فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه محمداًﷺ ليعلمه ويعلم البشر الذين هم عنوان الرسالة بسر يكشف النقاب عنه لأول مرة بعد أكثر من ستمائة سنة، وهذا السر ينزله الله تعالى على محمد من السماء، فانتبه يا محمد، إليك القصة الحقيقية التي سننزلها ونفيض فيها، وهي قصة حكمة ميلاد المسيح من أم بلا أب، وهذا القصص هنا هو أصدق القصص في مقابل ما قال أتباع السيد المسيح، والله سبحانه يطلع محمداًﷺ على السر الخفي والقصة الحقيقية للعائلة الإبراهيمية وتاريخ النبوة الحقيقي[٢٦].

ولهذا ولأن النبوة لم تكن قد اكتملت بعد، ولأن الله وعد إبراهيم بالنبوة لختامها، ولأن اليهود غير مستحقين للنبوة، فقد كانت أعظم نقلة في تاريخ النبوة على الإطلاق، انتقلت النبوة إلى البيت الإسماعيلي ليبعث محمداًﷺ نبياً

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) المصدر السابق.

ورسولاً وختاما للأنبياء والمرسلين لتكتمل رسالة الإسلام بالإسلام الذي دعا إليه أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام.

٢. ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾، وتعني في المعجم المصري: جهلوا، هبطوا، انحطوا، غفلوا، تبلدوا.

ونفس الكلمة ما تزال موجودة في اللغة القبطية بمعنى جهل، انحط، فسد.

أما معنى آيات سورة القلم طبقا لهذا التفسير :جهلوا وجهل القلم الذي يسطرون به، وجهالة ما يسطرون أن ادعوا عليك الجنون، فقد أنعم الله عليك بالنبوة وإنه لمجزيك جزيل الأجر وإنك لعلى خلق عظيم، وسنرى من منكم المفتون، أهم بجهالتهم وانحطاطهم أم أنت يا محمد بخلقك وسمو أخلاقك؟.

٣. ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ كلمة قاف تعني في اللغة المصرية القديمة: يتعالى علي، يسخر من، يتعجب من.

إن السورة لا تبدأ بأسلوب قسم ومما يؤيد ذلك أن افتتاحية سورة (ق) ليس أسلوب قسم، وإنما هو علامات الترقيم القرآني التي ضنت بنفسها هنا أيضا (كما في نون) فلو كان ثمة أسلوب قسم لكانت علامة الآية ضرورية بين كلمة "ق"، والقرآن المجيد، والأمر ليس كذلك هنا.

٤. ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾، ومعناها بالهيروغليفية: يقول، يحكي، يتقول، يسوء سمعة، يسيء إلى.

وبالتالي فإن تفسير الآيات العشر الأولى من سورة (صاد) كما يلي: تقولوا عليك وأساءوا واتهموك بإتيان ما ليس له سند، وتقولوا على القرآن وأساءوا إلى ما تبلغ به من قصص السالفين، بل هم في استكبار وإعراض عما تبلغ به، وهم لا يتعظون بما فعل الله بمن سبقهم، وتعجبوا كيف يأتيهم نذير منهم، واتهموك باختلاق كل ما تتلوه من قرآن، ويطمئن الله رسوله بأنهم

مهزومون في نهاية المطاف.

٥. ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾، وتتكون (طه) من مقطعين: "ط": بدون همزة وبمد طبيعي حركتان، وهـ، بدون همزة أيضا وبمد طبيعي حركتان أيضا، وهما ليسا بأي حال من الأحوال من حروف الهجاء العربية، ولو كان الأمر كذلك لكتبتا أولا: طاء-هاء، ولنونتا: طاءٌ -هاءٌ، وطه ليست بأي حال من الأحوال اسما للرسولﷺ، لأن هذا يفتقر إلى الدليل العلمي[٢٧].

والمقطع ط في اللغة المصرية القديمة معناه: يا رجل أو يا أيها الرجل القوي أو الرجل الحق.

والمقطع: هـ: معناه انتبه.. تطلع.. انظر.. والكلمتان معناهما إذن: يا هذا أو يا أيها الرجل القوي أو الرجل الحق، انتبه أو انظر.

وتفسير الآيات من ١ -٩ في ضوء ما سبق: يا هذا (يا رجل أو أيها الرجل القوي أو الحق في إيمانه، يا حبيبي) أي الرسولﷺ انظر، أو انتبه لما يقال لك الآن (أو انتبه لسبب ما أنت فيه الآن من معاناة): نحن لم ننزل عليك القرآن (أي الرسالة برمتها) لتشقى به، يا محمد وبسببه، بل أنزلنا عليك لتذكر به من يخشى الله ويرهبه ويخافه.

٦. ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ كلمة "يس"، أصلها الكلمة المصرية القديمة التي تنطق: يا سي -ن.

وتعني باللغة العربية: بلى، إي، يقينا، حقيقة، فإذا أضيف لها حرف -ن -وهذا الحرف من خصائص اللغة المصرية، فإن إضافته إلى الكلمة -ياسي -فإنها تفيد أن جزءاً من الجملة أو الكلام قد استبعد أو حذف[٢٨].

ومن إعجاز لغة القرآن الذي ليس له حدود أنه استعمل حرف -ن -في كلمة ياسين ليدل على الجزء المحذوف من الكلام، وهذا الجزء المحذوف منه

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) سعد العدل -السبع المثاني -مصدر سابق.

هو في الحقيقة غير ذي أهمية بالنسبة لله تعالى، ومن باب أولى ليس أهلا للجدل فيه أو مناقشته بالمرة، ويتمثل هذا الجزء المحذوف في قول الكفار والمشركين للرسول: لست مرسلا، لتأتي سورة يس بعد ذلك وتؤكد نبوة الرسول ﷺ وتكليفه من قبل الله سبحانه بالرسالة[٢٩].

وقد يسأل سائل: ألم تكن كلمة "بلى" العربية تعوض عن "يس" لتحل هذه الإشكالية، ولكن نجدها لا تحل المشكلة، أولا: لأن كلمة "بلى" لا يبدأ بها كلام في اللغة العربية، وثانيا: كان يحتاج استعمالها إلى ذكر كل القصة والإدعاءات المهترأة المفتراة ضد شخص النبي ﷺ، وما كان هذا مقام ذكرها في افتتاحية سورة يس.

٧. ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، أما عن معنى (حم عسق) فأمكن تقسيم كلمة حم على قسمين: حا مي -يم.

وبالبحث المعجمي المصري وضح الآتي:

- حامي: وتعني كائن سماوي.
- يم: وتعني بواسطة، عن طريق أو بطريق، هو الواسطة والكلمتان معا تعنيان: بواسطة كائن سماوي، الكائن السماوي هو الواسطة، أي أمين الوحي جبريل هو الواسطة.
- أما عسق فتعني -عين: العبد... نعم العبد، أي المحبب إلى الله، الجميل، الصادق.
- سين وتعني: رسول، مبعوث.
- قاف: وتعني: الذي يظهر فجأة، قوي، ذو شرف وعزة.

إن مطلع سورة الشورى في ضوء ما سلف: إن الروح الأمين جبريل (كائن سماوي أو ملاك) هو الذي يتنزل عليك أو هو الواسطة، يا أيها النبي، وهو عبد من عبادنا الصالحين أو هو رسول قوي، جميل الهيئة عزيز عظيم الهيبة والشرف، وبنفس هذه الكيفية وبواسطة الروح الأمين جبريل أوحى الله العزيز الحكيم إليك، كما أوحى إلى من سبقوك من

(٢٩) المصدر السابق.

الأنبياء والرسل، وهو الذي تنشق السماوات واحدة واحدة عظمة له، والملائكة يسبحون حمداً وشكراً له ويستغفرون لمن في الأرض والمغفرة من عنده وحده، أما أولئك الذين اختاروا لأنفسهم أولياء من دونه فالله يعرفهم، وما عليك إلا البلاغ.

٨. ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ مطلع سورة النمل.

- ط: وتعني يا أيها الرجل القوي الحق.
- سين: وتعني رسول كما أوضحنا في عسق.

يصبح الرمز «طس» في سورة النمل بأنه يعني: يا أيها الرجل القوي الرسول، أو يا أيها الرجل الحق والمبعوث، إن القرآن كتاب واضح مبين، وهو هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وبالآخرة مصدقون..

٩. ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ مطلع سورة الشعراء، وكما جاء في تفسير «طس»، في أول سورة النمل بأنه يعني: يا أيها الرجل القوي الرسول، أو يا أيها الرجل الحق والمبعوث.

أما الرمز "م" فيعني: الذارف الدمع، الباكي، كما تعني أيضا: بئر أو عين الماء.

ولن نفاجأ عندما نرى الشبه القوي في المعنى بين معنى الرمز (م) والتعبير (لعلك باخع نفسك) في الآية الكريمة.

وهذا التعبير يعني: القاتل نفسه غيظا وغما، والبليغ في هذا التعبير: علاقته بـ (بخعت البئر "الركية" بخعا حتى ظهرت ماؤها)[٣٠] والعين تقال كما هي لبئر الماء فهي تقال أيضا للعين عضو الإبصار[٣١].

والمعنى يتضح الآن: لعمرك يا أيها الرسول (يا محمد) يا ذارف الدمع، يا أيها المغتم والمهموم بهموم الرسالة، لعلك قاتل نفسك من الغم حتى يؤمن الكفار، لو أردنا أن نهلكهم ونقضي عليهم لجحودهم وكفرهم لاستطعنا.

(٣٠) سعد العدل -أبو الأنبياء إخناتون -مكتبة مدبولي -القاهرة -٢٠٠٣ -ص ٢١٤.

(٣١) السبع المثاني -مصدر سابق.

١٠. أما «طسم» في أول سورة القصص فتعني في تفسير الآية ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾، يكون لعمرك يا أيها الرسول (يا محمد) يا ذارف الدمع، يا أيها المغتم والمهموم بهموم الرسالة، سنتلو عليك خبر موسى مع فرعون وقومه، من أجل أن تعرف أن حمل الرسالة كبير، ثم بدأ القرآن الكريم يسرد قصة موسى، وينص على جعل وراثة الأرض للمستضعفين، فالآية الخامسة من السورة تقول ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ بسبب ادعاءات المشركين عليه ونكرانهم له وتشكيكهم في مضمون الرسالة ومصدرها ومآلها).

١١. الحروف المقطعة في بداية سورة الأعراف وهي (المص) تعني: (بحقك يا أيها النبي (لعمرك أيها النبي) المكلف و المغتم، الذارف الدمع، والمشغول والمهتم بما كلف به، والمكلف بما يقص عليه الله عز و جل).

١٢. بقية السور التي بدأت بـ(الم) ففي تفسيرها نحو ما في سورة الأعرف.

١٣. السور المفتتحة بقوله تعالى ﴿الٓمٓرٰ﴾ وهي سورة الرعد. والمفتتحة بـ﴿الٓرٰ﴾ وهي سورة يونس، و سورة هود، و سورة يوسف، وسورة الحجر، وسورة إبراهيم... والجديد في هذه السور حرف (ر)، وهي في شكلها عبارة عن فم الإنسان وتدل عليه أيضاً وعلى وظائفه ومنها الكلام، وأن المراد (مرا) لا (ر). وأنّ معنى (مرا) يميل بهواه، أو يميل به الهوى، والمعنى: يا أيها النبي المكلف بالرسالة المهموم بهمومها والمشغول عليها والحزين المكتئب المغموم بسبب تكذيب الكفار لك، ويا أيها المرتاب الذي راح يشك فيما هو بصدده.

انتهت الرؤية، وتلك الرؤية الجديدة، قد تكون غريبة، ولكن لا يمكن رفضها لمجرد الرفض، ولكننا أوردناها من أجل طرحها للنقاش، وليس الجدل بالطبع، فالنقاش يثري المعارف، ويصل في النهاية أن القرآن الكريم بالفعل لا تنقضي عجائبه وحقائقه.

خاتمة

ليس بالضرورة أن نقدس التفاسير القديمة لأنها قديمة، بما للماضي من شبه قداسة، كما لا يمكن قبول كل ما ورد في التفاسير العلمية لبعض الآيات القرآنية، ولكن الأصل في هذه الدراسة هو أن القرآن الكريم، يأتي بالمقبول عقلا ونقلا، ولم يحدث أن تعارض العلم مع آياته الشريفة.

وأخيرا يمكن قبول أن السبع المثاني هي سورة الفاتحة، وهم المعصومون الأربعة عشر، وفي نفس الوقت يمكن أن تكون السبع المثاني هي لغة هيروغليفية قديمة، كما ورد حديثا، وكما قرأنا في القديم. وان ما أوردناه، لا يعني بالضرورة نقض التفسير المتسالم عليه لفواتح السور أو التقليل من شأنه، انما هو رأي قابل للنظر فيه بعين علمية، قد يصح أو لايصح -وهذا هو شأن القرآن الكريم.. حمال أوجه كلها مقبول عقلا ما لم يدحضه الدليل أو ينكره العقل والرواية.